الأسرة الرومانية في المجتمع والدين

أ.رهام حافظ محمد جمال الدين
باحثة دكتوراة بقسم الآثار – كلية الآداب – جامعة المنيا – مصر
rehammagh@gmail.com

ملخص البحث:

يهدف البحث إلى تسليط الضوء على حياة الأسرة الرومانية داخل المنزل، ودور كل فرد فيها، بالإضافة إلى انتمائهم الديني وعلاقتهم بالآلهة، ومدى تأثير الدين على حياتهم اليومية، واهم الطقوس الدينية التي يقوموا بها.

الكلمات الدالة:

الديانة الرومانية– الأسرة الرومانية– العبادة المنزلية– الطقوس الدينية– المجتمع الروماني.

The Roman Family in Society and Religion

Abstract:

The research aims to shed light on the life of the Roman family within the home، the role of each individual within it، their religious affiliation and relationship with the gods، the extent of the influence of religion on their daily lives، and the most important religious rituals they performed.

Keywords:

domestic worship- Religious rituals- Roman family, Roman religion, Roman society,.

المقدمة

كانت الأسرة الرومانية (Familia) دائمًا نواة المجتمع، ووراء نجاح أو انهيار أى جماعة بشرية. كما كانت حجر الأساس في الدولة الرومانية، عندما إنضمت العشائر والعائلات الرومانية مع بعضها البعض لتكون مجتمعًا، وبذلك أصبحت العبادة العائلية هي أساس عبادة الدولة، فما كانت العبادة العامة إلا تطور عن العبادة المنزلية، التي مارس فيها الأب سلطة سيادية على باقي أفرادها.

كان المعتقد الدينى للأسرة داخل حدود البيت، يعتمد على الآلهة المنزلية التي بفضلها يضمنون سلامتهم وتحقيق رفاهيتهم وزيادة خيرهم، لذلك مارست الأسرة الرومانية الطقوس الدينية الخاصة بالآلهة المنزلية والمناسبات الأسرية، التي قام عليها رب الأسرة، وسميت بالأمور المقدسة الخاصة (Sacra Privata)، التي يُراد بها حماية أفراد الأسرة وممتلكاتهم من أراضي ومحاصيل[1].

الأسرة الرومانية داخل المجتمع:

1. الأب (pater familias) :

يمتلك الأب سلطة مطلقة تُسمى (patria potestas)، تصل إلى الحكم بالحياة أو الموت على جميع أفراد أسرته، التي تشمل الزوجه والأبناء والأبناء بالتبني والأحفاد والعبيد والخدم وأبنائهم[2]. كان الأب أيضًا هو المالك الوحيد لجميع ممتلكات الأسرة ودخلها، وقد اعتُبرت قوته ومكانته مقدسة، وكان يمكن لأبنائه أن يتولوا واجباته ومسؤولياته فقط بعد وفاته. ومع ذلك كان يمكن للأب أن يعتق الابن عند بلوغه سن الرشد، ما يعني تحرير الابن من سلطة والده [3].

تم التصديق على واجبات رب الأسرة وسلطته من خلال القانون الروماني، حيث كان الأب ملزمًا بتربية مواطنين صالحين للدولة، وكان ملزمًا أيضًا بتكريم عشيرته وأسلافه، من خلال الوفاء بالتزام إنجاب أجيال جديدة، فقد قام أوغسطس بإعفاءات ضريبية للعائلات الكبيرة الممتدة، حيث كان هذا الأمر مهمًا جدًا في روما القديمة، لدرجة الحكم بأشد عقوبة بموجب القانون كانت تصل لحد قتل الأب الذي يمتنع عن إنجاب الأطفال. وفي المقابل كانت جريمة قتل رب الأسرة من أخطر الجرائم وكانت عقوبتها تصل إلى الإعدام. وكان رب الأسرة يُعتبر كاهن عبادة الأسرة، وعندما يموت تعبده الأسرة وتقدم التضحيات له كإله منزلي [4].

كان المنزل الروماني مشابهًا للمعبد، حيث يخدم الأب بصفته كاهنًا في جميع طقوس العبادة المنزلية، وكانت هناك عشرات الطقوس التي يتم إجراؤها يوميًا منذ لحظة الاستيقاظ، كان يشرف الأب على طقوس عبادة أرواح المنزل وهم Lares وPenates و أيضًا الإله Janus. حيث كان أفراد الأسرة والعبيد أثناء تناول الطعام يصلون ويقدمون القرابين إلى Lares المنزل، يتقدمهم الأب أمام معبد العائلة Lararium، وكان بقية أفراد الأسرة يساعدون الأب في تحضير القرابين وتقديمها إلى آلهة المنزل، فكانت الأم تقوم بتحضير الولائم والطعام والتقدمات، وكان الأولاد يُشاركون في إعداد الموقد والذبيحة [5].

أما خارج المنزل كان الأب مسؤولاً عن أداء الطقوس في الاحتفالات الدينية العامة، لضمان الحفاظ على صحة أفراد المنزل وممتلكاتهم وأراضيهم ومحاصيلهم التي كانت تحت وصاية الآلهة.
وكان الأب أيضًا مسؤولاً عن القيام بطقوس تكريم الأجداد والعناية بمقابرهم[6].

2. الأم (Mater):

كان الالتزام الديني الأساسي للأم الرومانية هو إنجاب الأبناء وتربيتهم – ويفضل أن يكونوا ذكورًا–، وتعليم البنات مهارات إدارة المنزل من إعداد الطعام والغزل والخياطة. بالإضافة إلى أنها كانت تشارك في واجبات زوجها بمساعدته خلال تقديم القرابين لآلهة عديدة، وكانت مسؤولة عن تزيين المنزل

للمناسبات العائلية والأعياد الدينية. لم يكن من الواجب أن تقوم الأم الرومانية المثالية بتربية الأطفال فحسب؛ بل كان عليها أن تربيهم كمواطنين صالحين، وهذا يدل على أن العديد من النساء الرومانيات كن على الأقل متعلمات بالحد الأدنى [7].

كان على جميع المواطنين الذكور أداء الخدمة العسكرية لروما، وتَطلَب ذلك من البعض منهم أن يكونوا في المقاطعات البعيدة لعدة سنوات، ما استوجب ترك عمل إدارة العديد من المنازل وإدارة اقتصاد العقارات في أيدي وكلاء موثوق بهم، على أن تتحمل الزوجة مسؤولية الإشراف العام عليها، أما إذا كانوا من الفقراء، كانت الأم مسؤولة عن جميع مسؤليات الزوج من العناية بالأرض والعمل بها، وبأداء طقوس العبادة المنزلية [8] .

وبجانب مشاركة الأمهات الرومانيات في الاحتفالات الدينية العامة والمهرجانات، كانت النساء تُقدم القرابين لجونو –راعية الأمهات– في كل منزل من أجل استمرار بركات الأسرة.

3. الأبناء (Liberi):

عندما تَلد الأم مولودها، تُقدم عُملة ذهبية إلى الإلهة جونو لوسينا (ربة الولادة)، كقربان شكر، لحفظها ورعايتها للأم والجنين، ثم يُقدم المولود إلى الأب ويوضع بين رجليه، فإذا رفع الأب الطفل وحمله أمامه في وضع مستقيم، ذلك يثبت أنه اعترف بالطفل على أنه طفله، وتبدأ طقوس الاحتفال بالولادة الآمنة والاعتراف بالمولود، أما إذا وضعه على الأرض، فهذا يعني أنه لا يُعترف به ويتم التخلص منه، وحينها يؤخذ الطفل إلى الساحة العامة أو عند باحات هيكل العبادة، فيتم بيعه أو يتم تركه هناك لمن شاء أخذه، أو أنه يموت تأثرًا بحرارة الشمس أو برودة الشتاء، وهي حالات نادرة وغالبًا يكون المولود فتاة أو طفل به إعاقة [9].

وقد اعتمد الرومان في تربية أبنائهم الذكور على مبدأ اكتساب الخبرة، وذلك عن طريق مرافقة أبيهم في العمل بالحقل، وبمصاحبته في كل الاحتفالات الدينية، وفي زيارة أصدقائه والاستماع إلى أحاديثهم، والعمل على خدمتهم أثناء تناول الطعام، كما كان الطفل الذكر ينضم مع أبيه إلى الساحة العامة ليستمع إلى مناقشات الكبار، وإذا كان والده عضوًا في مجلس السناتو كان يُسمح له بالدخول كامتياز خاص له، على الأقل في الأيام الأولى من العهد الجمهوري [10]. اعتقد الرومان أنه من أجل إنجاب رجال حقيقيين و جنود أقوياء، لا بد من عدم الإفراط في التعامل مع الأولاد بعاطفة كبيرة، كما وجب ألا يقوموا بغسل –استحمام– أبنائهم بالماء الدافئ، لأن ذلك ينقص من قوتهم ورجولتهم، ومن أجل زيادة قوتهم أكثر فأكثر مُنع الطفل من الأكل مستلقيًا، كما كان يمنع من النوم الكثير، وذلك لاعتقادهم بأن كثرة النوم للأطفال تورث البلادة وتعطل النمو [11].

يبدأ الطفل الروماني مراحل تعليمه المدرسي من سن السابعة وهي المرحلة الإبتدائية، ويُطلق عليها اسم Impubes وهي المرحلة التي لم يصل فيها الطفل لسن البلوغ، وتَستمر حتى سن الثانية

عشر، وخلالها كان الطفل يتعلم فيها مباديء القراءة والكتابة والحساب، على يد معلم يُسمى Litterator أي معلم القراءة والكتابة. ومن تتح لهم مواردهم في الاستزادة يبدأ مرحلته الثانوية في سن الثانية عشرة إلى سن الخامسة عشرة، وتُسمى هذه المرحلة باسم Adalescens أي مرحلة الشباب أو المراهقة، وأهم ما يدرسه الصبي في هذه المرحلة هو الأدب، وكان معلم الأدب يسمى Grammatici. ثم تأتي بعد ذلك مرحلة التعليم العالي، ولا يصل إلى هذه المرحلة إلا من هم أوفر الرومان مالًا وأحبهم للثقافة، وهي مرحلة تبدأ في سن السادسة عشرة حتى سن العشرين، ويدرس الفتيان في هذه المرحلة الفلسفة وفن الخطابة، حتى يتمكنوا من العمل كمدافعين في المحاكم القانونية والحصول على الخبرة الأولية في الإدارة المدنية [12].

وتميز الرومان باهتمامهم بتعليم العبيد خاصة في الأسر الأرستقراطية، وكان يتم تعليمهم في مكان خاص بهم يُسمي ؛Aedagigium – وهو مكان خاص لتعليم العبيد– ، وكان غالب تعليمهم هو كيفية إتقان وظائفهم وكيف يكونون خدمًا أسوياء، إذ أن الرومان كانوا مولعين بالتفاف العبيد حولهم، بالإضافة إلى تعليمهم نوعًا من العلوم الفكرية، حيث أن عددًا من المنازل الراقية كانت تضم الكثير من العبيد المثقفين، وكان يُختار من بينهم من يرافق الأبناء في الذهاب والعودة من المدراس، وكانوا يُسمون Paedagogus (وتعني العبد الذي يرافق الطفل في الذهاب والعودة من المدرسة)، وأحيانًا كان هؤلاء العبيد يحصلون على قدر كافٍ من التعليم والثقافة يجعلهم بمثابة المعلم الخصوصي للطفل[13].

منظر شكل(1): مشهد نحت بارز يُظهر مشهدًا للفصل الدراسي، المعلم مع تلاميذه (متحف تريير– ألمانيا)
Comilla ، Apartments and Daily life of Ancient Rome، House،2018،M.H،Khan
Comilla p12 ،University

وعنند سن بلوغ الابن، وغالبًا تكون في سن الخامسة عشره إلى السادسة عشرة، يخضع لطقوس دينية بمناسبة الانتقال من سن الصبا إلى سن الرجولة، فكان يقوم بخلع توجا Praetexta– (هي التوجا التي كان يرتيها الأطفال الصغار، مع التميمة على الرقبة حتى سن البلوغ، كانت تتميز بحافة أرجوانية كالتي يرتديها أعضاء السناتو) – ويستبدلها بتوجا Virilis أو توجا الرجولة، كما أنه يخلع تميمة طفولته، ويُعلقها على مذبح الإله لاريس. ثم يشارك في عيد

Barbatoria – وهوعيد التحول إلى مرحلة الرجولة–، من طقوسه أن يقوم الشاب بحلق ذقنه، ويحتفظ بقصاصات الحلاقة الأولى بعناية في قنينة زجاجية ويتم تقديمها إلى آلهة المنزل للشكر على وصوله إلى مرحلة الرجولة، وتكون هذه المرة الأولى التي يقوم فيها الصبي بحلق لحيته بوصفه رجلًا بالغًا، ثم يقوده والده إلى المنتدى وسط احتفال كبير لتقديم الشاب الروماني لزملائه، وكبار القضاة، ويتجه الجميع إلى معبد جوبيتر في الكابيتول مع العائلة والأصدقاء لأداء التضحيات في المعبد [14].

بعد الوصول إلى مرحلة الرجولة، كان من المتوقع أن يبدأ الشباب بتدريبهم العسكري. وبالنسبة للطبقات العليا فقد كان يتم ذلك من خلال مكتب التربيون العسكري Military Tribune وهو (مقر عسكري يتم تعيينهم فيه بوصفهم متدربين في رتبة فارس للعمل تحت وصاية قائد في الميدان يُسمى (Tribune). وحتى يتم اعتاقهم بشكل قانوني من سلطة آبائهم، كان عليهم اكمال عشرة حملات عسكرية. أما الطبقات الوسطى فكانوا يقومون بتدريب أبنائهم في الريف، ثم يتم ضمهم إلى الجيش، ولكن يظلون تحت وصاية آبائهم. أما عن الطبقات الدنيا؛ فكان يتم تجنيدهم أو استدعاؤهم فقط إذا حدثت أزمة عسكرية [15].

وعُثر على تابوت يصور مراحل نمو الطفل، عبارة عن نحت بارز على جدار تابوت روماني، يعود إلى القرن الثاني الميلادي، محفوظ في متحف اللوفر شكل (2). صور فيه الفنان مراحل نمو الطفل منذ أن كان في المهد، ومراحل تعليمه في أربعة مشاهد، ويأتي ترتيب المشاهد من اليسار إلى اليمين.

منظر شكل(2): تابوت يصور مراحل نمو الطفل، من متحف اللوفر

مصطفى محمد قنديل، (2001)، ص101

المشهد الأول يصور الأم وهي جالسة على كرسي ذي مسند للظهر تقوم بإرضاع مولودها الصغير وهي شاردة الذهن، ويقف أمامهما زوجها يستند بيديه على عمود وينظر إلى زوجته ومولوده بتأمل واهتمام، حيث صُور الأب يقف بشكل جانبي ذي لحية خفيفة يرتدي توجا ويُقدم القدم اليسرى بينما يستند على أطراف أصابع القدم اليمنى.

المشهد الثاني يُمثل رجلًا يحمل الطفل على يده اليسرى، ربما كان والده أو المشرف على تربية الطفل، صُور الرجل بوضع أمامي، ذو لحية خفيفة، ويرتدي التوجا، ينظر إلى ابنه أو تلميذه. أما **المشهد الثالث** يُمثل الطفل وهو يرتدي التوجا، بعد أن كبر ووصل إلى مرحلة الصبا، يمارس لعبته المفضلة وهي ركوب العربة الصغيرة ذات العجلتين، يجرها حِمار او مُهر، يمسك باليد اليسرى اللجام وباليد اليُمنى السوط، –وهذا يدل على أنه كان يتم تشجيع الذكورعلى الرياضات الحربية التي تتناسب مع الشعب الروماني، الذي كان يكرس حياته للحرب–.

أخيرًا **المشهد الرابع** الذي يصور فيه الفنان وصول الطفل إلى مرحلة الدراسة في سن السادسة أو السابعة من عمره، يرتدي التوجا، ويقف أمام أستاذه –الجالس على كرسي ذي مسند للظهر، ملتحٍ بلحية كثيفة ويسند يده اليمنى على ذقنه ويضع القدم اليسرى على اليمنى – ويُمسك بيده اليسرى لفافة ورقية، وتم تصوير الطفل يرفع يده اليمنى للتحية أو يريد أن يصافح أستاذه، بينما يُمسك في يده اليسرى لفافة ورقية، وتم تصويره بوضع جانبي يقف يقظًا نشيطًا أمام أستاذه. ومن المثال السابق يظهر اهتمام الرومان بتربية الأطفال خلال مراحل حياتهم وتعليمهم، للاستثمار فيهم لخدمة الدولة [16].

4. الفتيات:

كان الفتيات يمضين سنواتهن الأولى في تَعلُم الواجبات المنزلية من أمهاتهن، بالإضافة إلى أنهن كن يذهبن إلى المدارس مع الأولاد، ولكن في أغلب الوقت كانت تنتهي دراستهن في المراحل الابتدائية، من تعلم القراءة والكتابة والحساب، كما يمكن أن نعرف من خلال المناظر التي رسمت على الفخار الروماني أن الأسرة الرومانية كانت تهتم بتعليم الفتيات في سن مبكر العزف على مختلف الآلات الموسيقية [17].

ولم تكن هناك طقوس أو احتفالات دينية محددة للفتيات الصغيرات، باستثناء المشاركة في الجوقات الدينية مع الذكور في أوقات معينة وبشروط معينة، وبعض منهنَّ تُؤخذ ليتم تعيينها ككاهنة للإلهة فستا بعد اجتيازهن اختبارات وشروطًا قاسيَة. وكذلك المشاركة في الطقوس المنزلية للأسرة، ودائماً ما كن يرافقن أمهاتهن في الطقوس العامة [18].

وبعد زواج الفتاة، تنتقل من سلطة أبيها إلى سلطة زوجها، وهذا يعني أن مهر الابنة أو أي ممتلكات أخرى لها تؤول للزوج تلقائيًا. ولكن مع حلول القرن الأول قبل الميلاد بدأ ما يُعرف بـ"الزواج الحر" بحيث تظل الزوجة تحت سلطة والدها، ولا يكون لزوجها حق الوصول إلى مهرها أو غيره من ممتلكاتها، وكان هذا التغيير اعتبارًا عمليًا في وقت ارتفعت فيه معدلات الطلاق، فسمح بدرجة من الاستقلال للمرأة الرومانية، والذي كان يتعارض مع تقاليد الثقافات المعاصرة الأخرى [19].

سنلاحظ أن الأدوار الدينية المحددة لكل فرد من أفراد الأسرة في روما، صُممت لإعداد الجميع في النهاية لدورهم الأكبر في المجتمع. حيث يُهيأ الجميع منذ الطفولة للإسهام في الصالح العام، وأي

انحراف عن الأدوار التقليدية سيؤدي إلى إثارة غضب الآلهة [20].

الخاتمة:

اتضح من خلال الدراسة للأسرة الرومانية **أولًا:** أن الأسرة الرومانية كانت حجر الأساس للدولة الرومانية، التي مارس فيها الأب سلطة السيادة المطلقة على باقي أفرادها، تصل للحكم بالحياة أو الموت وكان المسؤول عن أداء جميع طقوس العبادة المنزلية، وكانت بقية أفراد الأسرة تقوم بمساعدته في أداء هذه الطقوس، وسميت بالأمور المقدسة الخاصة Sacra Privata التي يُراد بها حماية أفراد الأسرة وممتلكاتهم من أراضي ومحاصيل.

ثانيًا: كان الالتزام الديني الأساسي للأم الرومانية هو إنجاب الأبناء وتربيتهم تربية صالحة، وكانت مسؤولة عن مساعدة زوجها في أداء طقوس العبادة بإعداد طعام القرابين والولائم وتزيين المنزل للمناسبات العائلية والأعياد الدينية، وتشارك في الاحتفالات الدينية العامة والمهرجانات، بجانب ذلك كانت تُقدم القرابين لجونو –راعية الأمهات– من أجل استمرار بركات الأسرة. كما أنها كانت تتحمل مسؤولية الإشراف العام على جميع ممتلكات وأعمال زوجها عند سفره خارج البلاد.

ثالثًا: اهتم الرومان بتعليم أبنائهم –خاصة الذكور– سواء علميًا وعمليًا، فكان الطفل الروماني يلتحق بالمرحلة الإبتدائية، ومن تتح لهم مواردهم في الاستزادة يبدأ مرحلته الثانوية، ثم تأتي بعد ذلك مرحلة التعليم العالي، ولا يصل إلى هذه المرحلة إلا من هم أوفر الرومان مالًا وأحبهم للثقافة، بالإضافة إلى إكسابهم الخبرة العملية، عن طريق أصطحابهم معهم إلى الساحة العامة والأسواق ليستمعوا إلى مناقشات الكبار. أما بالنسبة للفتيات فكان تعليمها المدرسي غالبًا ينتهي في المرحلة الابتدائية، وتكون أمهاتهن مسؤولات عن تعليمهمن كيفية إعداد الطعام ونسج الملابس.

رابعًا: عند سن بلوغ الابن الذكر، وغالبًا ما تكون في سن الخامسة عشرة إلى السادسة عشرة، يخضع لطقوس دينية بمناسبة الانتقال من سن الصبا إلى سن الرجولة، فيقوم بخلع توجا برايتكستا واستبدالها بتوجا الكبار توجا فيريليس، ويخلع تميمة الطفولة ويُعلقها على لاراريوم الإله لاريس.
ثم يشارك في عيد Barbatoria وهوعيد التحول إلى مرحلة الرجولة. أما الفتيات لم يكن لهن عيد معين يتم الاحتفال به في هذه المناسبة، ولكن كانت تؤدي بعض الطقوس المشابهة عند الا حتفال بالزواج، بأن تُغير ملابسها وتسريحة شعرها، وتعلق تميمتها وألعاب طفولتها لآلهة المنزل.

سنلاحظ أن الأدوار الدينية المحددة لكل فرد من أفراد الأسرة في روما، صُممت لإعداد الجميع في النهاية لدورهم الأكبر في المجتمع.

حيث يُهيأ الجميع منذ الطفولة للإسهام في الصالح العام، وأي انحراف عن الأدوار التقليدية سيؤدي إلى إثارة غضب الآلهة.

حواشي البحث:

([1]) فكيرين، فاطمة: (2018)، المرأة وإسهماتها في الإمبراطورية الرومانية، رسالة ماجستر، جامعة ابن خلدون، الجزائر، ص25.
([2]) فكيرين، فاطمة: (2018)، ص25.
([3]) Huseinspahić, A. (2014), Patria Potestas with Reference to Some Aspects of Child Education in Ancient Greece, Rome and the Medieval Arab State Faculty of Law, University of Zenica, Zenica, pp.101, 102.
([4]) Huseinspahić, A. (2014) , pp.101, 102.
([5]) Huseinspahić, A. (2014) , pp.101, 102.
([6]) Bendlin,A. (2014), Religion at Rome, Themes in Roman Society and Culture: an Introduction to Ancient Rome, University of Toronto, Toronto, pp.209,210.
([7]) Mcgeough,K.M. (2004), The Romans, Library of Congress, Washington , pp.145,146.
([8]) Lundeen,L.E. (2006), In Search of the Etruscan Priestess: are-Examination of the Hatrencu (Chapter from Religion in Republican Italy Book), Cambridge university press, Cambridge, pp.53-56.
([9]) المقدم، محمد أحمد: (2006)، المرأة بين تكريم الإسلام وإهانة الجاهلية ج2، دار طيبة، السعودية، ص48.
([10]) الشعراوي، أحمد محمد & عبد الرحمن، وائل: (2008)، أصول التربية التاريخية، دار حامد للنشر والتوزيع، الأردن، ص72.
([11]) السعيد، خاشة: (2017)، الأسرة، طقوس الزواج وتعليم الأطفال في الفترة الرومانية، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية عدد مؤسسة كنوزالحكمة، الجزائر، ص60.
([12]) زايد، مصطفى محمد قنديل: (2001)، التعبير عن التعليم في الفن اليوناني والروماني، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة طنطا, طنطا, ص ص 8، 12، 32، 33.
([13]) زايد، مصطفى محمد قنديل:(2001)، ص ص 8, 12, 32, 33.
([14]) Denova, R.I, (2019), Greek and Roman Religions, John Wiley, New York, P.156.
([15]) Denova, R.I, (2019), P156.
([16]) زايد، مصطفى محمد قنديل: (2001)، ص ص100 -101.
([17]) زايد مصطفى محمد قنديل: (2001)، ص ص 209- 220،210.
([18]) Beaumon, L.A & Dillon, M. & Harrington, N. (2021), Children in Antiquity, Routledge, New York , p.379.
([19]) Denova, R.D. (2019), pp.156,157.
([20]) Denova, R.D. (2019), pp.156,157.